تراث الإنسانية

الإفادة والاعتبار

لعبد اللطيف البغدادى

د. عبدالحليم منتصر



الهيئة
المصرية
العامة
للكتاب

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥

الإفادة والاعتبار

الإفادة والاعتبار

لعبد اللطيف البغدادى

د . عبد الحليم منتصر



مهرجان القراءة للجميع ٩٥
مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(تراث الإنسانية)

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الانجاز الطباعى والفنى
محمود المندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الإفادة والاعتبار

لعبد اللطيف البغدادي

د. عبد الحليم منتصر

موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد ن علي بن أبي سعد • ويعرف ابن اللبان وبابن نقطة ، ويلقب المطجن ، لقصره ودمامة خلقته •

ولد بدار جده بدرب الفالوذج ببغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة وحين استوى عومه شغله أبوه بسماع

(★) فوات الوفيات لابن شاكر ٢ : ٧ ـ بقية الوعاة للسيوطي ٣١١ ـ طبقات الشافعية للسبكي ٥ : ١٣٢ ـ انباه الرواة للقفطي ٢ : ١٦٣ ـ معجم المطبوعات ١٢٩٢ ـ شذرات الذهب لابن أبي أحيغة ٣ : ٣٣٠ ـ ٣٥٠ ـ ـ تاريخ الاسلام للذهبي (وفيات ٦٢٩) تلخيص ابن أم مكتوم ١١٤ ـ ١١٧ ـ حسن المحاضرة للسيوطي ١ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ـ طبقات ابن قاضي شهبة ١ : ٩٨ ـ ٩٩ ـ مرآة الجنان لليافعي ٤ : ٦٨ ـ كشف الظنون •

الحديث ، فسمع من ابن البطى أبى الفتح محمـــد بـن عبد الباقى وان زرعة طاهر ن محمد القوسى وأبى القاسم يحيى بن ثابت الوكيل ٠

كما اخذ عن أبيه علوم القرآن والأصول وعن عمه سليمان الفقه ٠

وحين رحل الى مصر اتصل بعم ابن أبى أصيبعـــة وأبيه وأخذ عنهمـــا الأدب ودرس كتب ارسطوطاليس وحين ترك مصر الى دمشق شغل بدراسة علم الطب ٠

وهكذا نشأ موفق الدين حيث ولد فى بغداد نشأة علمية أفاد من الكثير من شيوخها فتتلمذ لابن الأنبـارى كمال الدين عبد الرحمن فحفظ عليه اللغـة وقرأ معــه شروحها كما حفظ أدب الكـاتب لابن قتيبة كما حـفظ مشكلة القرآن وغيبه ، كما حفظ الايضـاح لأبى عــلى الفارسى والمقتضب للمبرد والكتاب لابن درستويه ٠

وبعد وفاة ابن الأنبارى لزم ابن عبيـــدة الكرخى فقرأ عليه كتبا كثيرة منهـا : الأصـــول لابن السراج ، والفرائض والعروض للخطيب التبريزى ٠

وكذلك قرأ على ابن ناتلي شيئا في الحساب والكيمياء ، وفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة قصد بغداد الى الموصل فأفاد من الكمال بن يونس شيئا في الرياضيات والكيمياء ٠

وبعد سنة أقامها بالموصل رحل الى دمشق فالتقى بكثير من العلماء منهم جمال الدين عبد اللطيف بن أبي النجيب ، وابن طلحة الكاتب ، واجتمع بالكندي وجرت بينه وبينه محادثات ٠

ثم كانت رحلته الى مصر فلقي من علمائها حينذاك ياسين السيميائي وكان مشتغلا بالكيمياء ، والرئيس موسى بن ميمون اليهودي الطبيب ثم أبا القاسم الشارعي وكان مشتغلا بالعلوم الحكمية ٠

ورجع موفق الدين الى دمشق ثم ما لبث ان تركها الى مصر يقرىء بالجامع الأزهر وفي سنة أربع وستمائة عاد الى دمشق واخذ في التدريس بالمدرسة العزيزية ٠

ثم كانت له رحلات أخرى أشهرهـــــا رحلته الى حلب • وكان حيث حل يفيد ويستفيد ويؤلف ، الى أن توفى سنة ٦٢٩ هـ •

ولقد ترك مؤلفات كثيرة منها :

١ ـ قوانين البلاغة •

٢ ـ الانصاف بين ابن برى وابن الخشاب •

٣ ـ الجامع الكبير فى المنطق •

٤ ـ لغة الحكيم •

٥ ـ الكلمة فى الربوبية •

٦ ـ الحكمية الكلامية •

٧ ـ تهذيب كلام أفلاطون •

٨ ـ القياس •

٩ ـ السماع الطبيعى •

١٠ ـ المغنى الجلى ، فى الحساب •

١١ ـ التجريد ، فى اللغة •

١٢ ـ ذيل الفصيح لثعلب .

١٣ ـ شرح احاديث ابن ماجة المتعلقة بالطب .

١٤ ـ ملخص مقالات التاج ، فى الحلية النبوية .

وقد اختصر كتبا كثيرة منها :

١ ـ الحيوان للجاحظ .

وبعد هذا فله كتاب :

الافادة والاعتبار بما فى مصر من الآثار .

كتاب الافادة والاعتبار

كتاب صغير الحجم ، الا أنه نفيس ، عظيم النفع ، ذلك هو كتاب « الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة فى أرض مصر » ، الذى وضعه عالمنا ، عبد اللطيف البغدادى ، بعد زيارته لمصر ، مرة بعد أخرى ، وكان قد نزح اليها فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، وتنقل بين أرجائها ، وجاس خلالها ، وعاشر أهلها ، وخالطهم مخالطة الدارس الأديب وتعرف على بيئاتها ، تعرف العالم المحنك ، والأديب الصافى الذهن ، المتوقد الذكاء ·

والبغدادى عالم ، الا أنه أديب ، وأديب الا أنه عالم ، وكان الى جانب ذلك نباتيا وطبيبا ورحالة عظيما ، تلحظ ذلك جميعا فى أسلوبه وكتابته ، وطريقة العرض ، وبراعة الاستقراء ، ولطف المدخل ، وجمال التنسيق ·

وقد عنى عالمنا بوصف مصر ، فى فترة من أزهى عصورها ، وحقبة من تاريخها ، من أغنى حقبها بالأحداث اذ ليس من شك فى أن عصر صلاح الدين ، كان من أزهى عصور مصر الاسلامية ·

على أن البغدادى ، بعد أن أمضى بمصر زمنــــا ، سائحا ، جائلا ، دارسا ، مسجلا ما يرى من مشاهدات رحل بعد ذلك الى بيت المقدس ، لمقابلة صلاح الــدين الأيوبى ، ليهنئه بانتصاره على الصليبيين ، وقد وصف تلك المقابلة ، فقال انه بطل يملأ العين روعة ، والقلب محبة ، يحف به صحبه الذين طبعهم بطابعــه ، فى العزم والقوة والصلابة والكرم ٠

وقال ان صلاح الدين ، كان يصطفى العــلماء ، ويحسن الاستماع اليهم ، ويشاركهم فى البحث والحديث ولعل من أسباب نجاح صــــلاح الدين الأيوبى ، ذلـــك البطل الخالد فى التاريخ ، وانتصاره على الصليبيين ، الى جانب شجاعته واحترامه وحسن تدبيره ، استشارة العلماء ، وكثرة جلوسه معهم والاســتماع اليهم ، فــلم يستبد برأيه ، ولكنه شارك العلماء فى عقولها باستماعه الى مشورتهم وآرائهم ٠ يقول البغدادى ، كان صلاح الدين يتقدم جنده ويعمل معهم ٠ ويضيف أن صـــلاح الدين أكرمه وعظمــه ، واجرى عليه راتبــا ، قدره ثلاثــون

ديناراً ، وأمره بالتدريس فى جامعة دمشق • وان أهل دمشق قابلوا صلاح الدين مقابلة الأبطال المنقذين •

وقد عاد البغدادى الى مصر مرة أخرى في عهد العزيز بن صلاح الدين ، وعاد الى التدريس فى الجامع الأزهر بالقاهرة • وقد وصف البغدادى المجاعة القاتلة التى حلت بمصر سنة ١٢٠٠ م بسبب عدم فيضان النيل فى تلك السنة ، وكان ذلك في عهد الملك العادل • كما وصف زلزالا شديداً حل بمصر ، فكان مع المجاعة اقسى بلاء حل بالبلاد ، وقد اضطر البغدادى الى ان يعود الى بيت المقدس ثم الى دمشق مرة أخرى •

وكذلك حمل عبد اللطيف البغدادى أمانة العلم ، وانها لأمانة عظمى ، لم يتوان يوما واحدا ، عن أن يفيد ويستفيد ، وانه ليحمد الله أن حمل عنه الأمانة كثيرون من تلاميذه الأذكياء ، وقال أن العلماء لا يموتون أبداً ، انهم يخلدون فى أعمالهم ومؤلفاتهم وآثارهم الباقية ، وعلمهم النافع ، والعالم الحق من يضع لبنة فى بناء العلم العظيم •

يقول البغدادى ، وقد وضعت بحمد الله لبنات كثيرة ، لا أطلب من ورائها الا المغفرة والرضوان وكذلك لا يموت العلماء كما يقول عبد اللطيف ، فها نحن أولاء بعد مئات السنين من وفاته ، نقلب فى تراثه الخالد ، ونعرض كتابه « الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة فى أرض مصر » ، نعرضه فى هذه الصفحات راجين أن نكون قد وفقنا فى هذا العرض ، أداء لحق هذا العالم الفاضل ، الذى عاش حياته عالما معلما رضى الله عنه .

وانه ليصف فى هذا الكتاب مصر ، كما رآها فى ذلك العهد ، تحدث عن ازدهار العلوم والمعارف العامة فى ذلك العصر ، ولم يكن يعنى كثيرا بالكيمياء ، ولا بكتب الشيخ الرئيس ، ولعله كان سيىء الرأى فيه ، وكان من الشجاعة أن يثبت رأيه فى هذا العملاق الذى يدين كثير من العلماء والفلاسفة لآرائه ونظرياته ، يقول البغدادى : « ان أكثر الناس انما هلكوا بكتب ابن سيناء وبالكيمياء » .

يقول البغدادى موجها الحديث الى المشتغلين بالعلم « أوصيك الا تأخذ العلوم من الكتب وان وثقت بنفسك من

قوة الفهم ، وينبغى أن تكثر اتهامك لنفسك ، ولا تحسن الظن بها ، وتعرض خواطرك على العلماء ، وعلى تصانيفهم ، وتتثبت ولا تتعجل ، ولا تعجب ، فمع العجب العثار ، ومع الاستبداد الزلل ، ومن لم يعرق جبينه الى أبواب العلماء ، لم يعرق فى الفضيلة ومن يخجلوه ، لم يبجله الناس ، ومن لم يحتمل ألم التعلم ، لم يذق لذة العلم » . ثم يضيف « اذا تمكن الرجل فى العلم وشهر به ، خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب ، وجاءته الدنيا صاغرة ، وأخذها وماء وجهه موفور ، وعرضه ودينه مصون » .

حرى بنا أن نقف وقفة عند هذه الكلمة الجامعة ، فما أعرف توجيها علميا ، أكثر سدادا وأرشد رشادا من هذا التوجيه ، انه يقول لطالب العلم ، لا تقصر همك وكدك على أخذ العلم من الكتب وحدها ، ولعله يوصى بالتجريب والمشاهدة ومناقشة العلماء وأولى الرأى ، حتى يستبين الرأى ، يقول للمتعلم ، مهما وثقت بنفسك من قوة الفهم ، فلا تقنع بما فهمت ، وما وقر فى ذهنك مما قرأت ، ولا تحسن الظن بنفسك ، بل أكثر من اتهامك لها ،

واعرض خواطرك على العلماء وناقشهم فيما رأيت ، وما درست ، وقارن بين ما فهمت وبين ما سجله العلماء في تصانيفهم ومؤلفاتهم · ثم يتابع توجيهه الحكيم قائلا لطالب العلم ، تثبت ولا تتعجل ، ولا تعجب ، فمع العجب العثار ، ولا تستبد برأيك ، فمع الاستبداد الزلل · وإياك أن يعثر بك الكلال من طرق أبواب العلماء ، وحضور مجالسهم والاستماع اليهم · فان من لا يعرق جبينه الى أبواب العلماء ، لا يعرق في الفضيلة ولا ينبغ في العلم ، وبالتالي لا يكتسب مزيداً من علم العلماء وفضلهم ، فهذا الكسب العلمي ، طريقه السعي الى العلماء ، والاجتماع بهم والاصغاء الى ما يقولون ، والانصات الى توجيهاتهم ونصائحهم ، حتى لو أخجلوه ، فان من لا يبجله العلماء لا يبجله الناس ، لأنه لم ينل القسط الكافي من العلم على أيدي العلماء ، ومن أفواههم ومجالسهم ، واذا لم يحتمل ألم التعلم لا يمكن أن يتذوق لذة العلم ، ثم يبلغ البغدادي الذروة في التوجيه والاستعلاء بالعلم حين يقول : « اذا تمكن الرجل في العلم وشهر به ، خطب من كل جهة ، وعرضت عليه المناصب ، وجاءته الدنيا صاغرة ، وأخذها وماء وجهه موفور ، وعرضه ودينه مصون » ·

ما أجدر المشتغلين بالعلم أن يعوا هذه الكلمة الجامعة ، التى يوجهها اليهم البغدادى فى كتابه الصغير ، منذ مئات السنين • لعل البغدادى ، قد قرأ قول ابن الهيثم « يكفينى قوت يوم » وقرأ قولته المشهورة لأحد الأمراء ، حين رد اليه ما دفعه من مال أجر تعليمه ، وقال « خذ أموالك بأسرها فأنت أحوج اليها منى ، واعلم نه لا أجرة ولا رشوة ، لا هدية ، فى نشر العلم واقامة الخير » ولعله قرأ كيف رد البيرونى للسلطان جماله التى تنوء بأحمالها من النقود ، وكان السلطان قد بعث بها اليه عندما أهداه البيرونى كتابه المسعودى الفلك • هذا الاستعلاء بالعلم هو الذى يستهوى البغدادى ، وهو الذى يدعو اليه ، ويطلب الى المشتغل بالعلم ، أن يكون بمنأى عما يشين ، وان العالم الحق ، يسعى اليه ولا يسعى هو الى جاه ، أو منصب ، وانما تأتيه المناصب صاغرة ، وتأتيه الدنيا وعرضه ودينه مصون • وهكذا ينبغى أن يكون العلماء حقا ، كما أراد لهم عبد اللطيف البغدادى ، صونا لنفوسهم عن التبذل ، واستعلاء بعلمهم عن التدنى ، وكذ وجد فى سبيل طلب العلم •

وقد اشتغل البغدادى بالتدريس فى الأزهر حينا ،

وكان التدريس بالجامع الأزهر شرفا يبتغيه العلماء ، وكان الأزهر فى ذلك الحين ، كعبة القصاد من علماء المسلمين ، يحجون اليه من كل فج ، ويشرفون بالتدريس فيه • على أن عبد اللطيف بعد أن أقام بمصر زمنا ، عاد الى دمشق ، وهناك درس علوم الطب ، التى افتتن بها أيما افتتان ، ثم أباح لنفسه الاشتغال بالطب ، بعد أن تتلمذ على الرازى وابن سينا •

ويظهر أن رحلة عبد اللطيف الى مصر ، تركت فى نفسه أثرا كبيرآ حتى ظل يذكرها فى كتبه ورسائله وتصانيفه زمنا طويلا ، ووضع كتابه الذى نعرضه فى هذا الحديث عن مشاهداته فى أرض مصر ، فتحدث عن النيل وعن الأهرام ، وأسماها معجزة الدهر • وذكر محاولة هدمها فى زمن عبد العزيز عثمان بن صلاح الدين ، وقال عن قراقوش انه كان رجلا عظيما ، خلد أعمالا باهرة فى مصر ، وانه كان مصلحا عظيما ، قضى على كثير من المظالم ، والمفاسد وانه بنى من حجارة الأهرام نحو أربعين قنطرة كانت من العجائب •

ويتحدث البغدادى عن آثار مصر فى اجلال وتقدير لفن المصريين القدماء • قال انه ذهب الى صعيد مصر ، حيث رأى ما لا يصدقه عقل من رسوم وصور للانسان والحيوان والطير •

ووصف عمود السوارى فى الاسكندرية ، فقال انه من الصوان الأملس غليظ شاهق الطول ، وخرج من مشاهداته لآثار مصر ، بأن المصريين القدماء كانوا على علم بالهندسة العملية ، وكانوا على خبرة تامة برفع الأثقال وصناعة الرسم والنقش والتحنيط • ويتابع البغدادى حديثه الممتع ، بأسلوبه السهل الواضح ، عن آثار مصر ومشاهداته فيها ، ويقول انه زار دار العلم أو جامعة الاسكندرية ، التى بناها الاسكندر ، ولكنها ذهبت ضحية الجهل ، فحين ولى على الاسكندرية فى عهد صلاح الدين « قراجا » فكر فى الانتفاع بأحجار هذا البناء الضخم ، ذى الأعمدة العظيمة ، وقد استعصى عليه ذلك العمود الكبير ، المسمى عمود السوارى ، الذى بقى شاهداً على عظمة هذا البناء العتيد ، الذى شهد عصراً من أزهى عصور مصر العلمية ، حين انتقل العلم

الاغريقى الى مصر ، وكانت جامعة الاسكندرية منارة للعلم فى هذه الفترة السحيقة من التاريخ ، ازدهت بفيثاغورس وبطليموس وغيرهما من علماء هذه الحقبة المجيدة فى تاريخ العلم · كذلك ذكر البغدادى انه زار منارة الاسكندرية · وقال انها خرجت أيام الوليد بن عبد الملك ·

وقد امتدح عبد اللطيف فن البناء عند المصريين القدماء ، وقال انه لم ير مثل مبانيهم فى جميع البلاد التى زارها ، وقال انهم كانوا يعتنون بالأساس الذى يقيمون فوقه البناء ، فيحفرون الى أن يصلوا الى الأرض الصلبة ، ثم يرفعون القواعد ويقيمون البناء ·

ويسهب البغدادى فى وصف حمامات مصر قائلا انها من أعجب الأعاجيب ، ويتحدث فى افاضة عن مقصوراتها ونقوشها ورخامها ومياهها ، وطريقة تسخين الماء · ووضع طبقة من الملح فى الموقد لتحفظ حرارة الماء ردحا طويلا ·

ثم ينتقل البغدادى الى وصف كثير من الحيوانات

التى رآها فى مصر ، يقول انه شاهد أنواعا مختلفة من السمك ، قال انه رآها فى الاسكندرية ، ذكر السمك الرعاد ، قال انها تبعث فيمن يمسكها رعدة شديدة ، يعقبها تخدير وثقل فى الأعضاء ، وهى قليلة الشوك كثيرة الدسم ووصف السلحفاة البحرية ، وقال ان المصريين يسمونها الترسة ، وهى كبيرة جداً ، تزن الواحدة بضعة قناطير ، وقال ان لحمها يقطع ويباع كلحم البقر ، ثم وصف البغدادى حيوانا آخر ، قال انه يعيش فى النهر ، وانه أضخم من الترسة ، قوى شديد ، يشبه الفرس ، يسمونه فرس النهر لكنه أشبه

بالجاموس ، قوى الأنياب ، منتفخ البطن ، قصير الأرجل ، سيىء الخلق ، فمه واسع ، اذا فتحه كان أشبه بالحفرة العميقة ، وقال انه يعيش فى بحر دمياط ويهاجم المراكب ، ويفتك بمن يقع بين براثنه من ركابها ٠ وقال ان المصريين ضجوا من الشكوى من هذا الحيوان المفترس ، وانهم طلبوا من أهل السودان أن يبعثوا اليهم بمن يصيد هذا الحيوان الماكر الجبار ، فجاءت نجدة من السوادن ، تحمل المزاريق الحادة ، ويضيف البغدادى انه شاهد ذلك بنفسه ، وأنه عجب له أشد العجب ٠

على أن أطرف ما تحدث به عبد اللطيف البغدادى ، عن مشاهداته في مصر ، انما كان وصفه لنباتاتها . والسبب في ذلك هو أنه كان نباتيا وطبيبا ، وصلة الطبيب بالنباتات فى ذلك العصر كانت صلة قوية عظيمة ، فقد كان النباتى هو الطبيب ، والطبيب هو النباتى أو العشاب لأنه يعرف خصائص الأعشاب وصفاتها ، ويستطيع أن يميز بين النافع والضار منها .

ويتميز وصف عبد اللطيف لنباتات مصر ، بقدرته الفائقة على ذكر التفاصيل الدقيقة أحيانا ، وبراعته فى المقارنة والاستنتاج ، وهو ان جانبه التوفيق أحيانا فى بعض ما ذهب اليه ، وفق فى أغلب الأحيان ، وكانت معلوماته موسوعية عامة فى كثير من الأحيان كذلك .

وظاهر من وصفه ، وملاحظاته أنه لم يكن لديه وقت للتجريب ، فاكتفى بما استقى من معلومات لم يقم عليها دليل تجريبى .

قال عن الموز ، زعموا أن شجر الموز فى اصل مركب من قلقاس ونوى النخل ، تجعل النواة فى نفس

القلقاسة وتغرس ، ثم يلاحظ أن هذا القول ، وان كـان سائجا لم يخل من دليل يشهد له ، فالحس يسوغه ، ذلك أنك تجد لشجرته سعفا كسعف النخل سواء ، الا أنــك ينبغي أن تتخيل الخوص اتصل بعضه ببعض ، حتى صار كأنه ثوب حـرير أخضر ، قــد نشرت أوراقــه خضرا ، ترف زيــا وطراءة ، وكــأن الرطـوبة اكتسبها من القلقاس ، والشــكل اكتسبه من النخل ، فعلى ذلك يكون القلقــاس لــه بمنزلة المــادة ، والنخـل بمنزلة الصورة ٠ اما الثمر فانك تراه أعذاقا كأعذاق النخل ، قد تحمــل الخوصه خمسمائة موزة فصاعـدا ، ويكـون في منتهى الخوص موزة تسمى الأم ، ليس فيهـا لحم ولا تؤكل ، واذا شقت وجدت مؤلفة من قشـور كالبصل ، كــل قشرتين منهمـا متقلبتـــان ، وتحت كــل قشرة عند القاعدة ، زهر أبيض كزهر النارنج ، عدده احدى عشرة في صفين لا ينقص عن هذا العدد ولا يزيد عن واحد الا نادرا ، وتشقق هذه القشور من تلقاء نفسهـا عــلى التدريج ، ويتساقط الزهر ، وتعقـد المــوزة الصغيرة ، وقشر الموزة قشر رطب الا أنه غليظ جدا بما اكتسـبه من مادة القلقاس ، ولحمه حلو فيه تفاهة ، كأنه رطب مــع

خبز ، فالحلاوة من الرطب ، والتفاهة من القلقاس • وأما شكل الموزة ، ففي شـــكل الرطبة ، الا انها بقدر الخيارة الكبيرة ، تميل الى الصفرة والبياض ، فالصفرة من الرطب ، والبياض من القلقاس ، ثم انك تجدها شحمة واحدة ، ليس فيها نوى ، ولا ما يرمى سوى القشرة فقط ، يشترط القشر بسهولة ، واذا تأملته في ضياء ، ألفيت في وسطه حبا كثيرا أصغر من الخردل ، يضرب الى الشقرة ، شبيه بحب التين ، الا أنه في غاية اللين ، فهذا كأنه رسم نوى الرطب ، الا أنه لزيادة رطوبته لان وتفـرق واختلـــط باللحم ، وانساغ معه في الأكل •

ما أشد اعجابي بهذا الوصف الجميـــل ، وبهـــذه المقارنة البارعة ، رغم النتيجة الخاطئة التي وصل اليها ، من « أن الموز مركب من قلقاس ونوى نخـــل ، تجعـــل النواة في نفس القلقاسة وتغرس » ، وطبيعي أنه لو انفسح الوقت أمام البغدادي واجرى هذه التجربة لاقتنع بخطـــأ الاستنتاج الذي ذكره ، ويظهـــر أنه احس بذلك فقال ، وهذا القول « : وان كان سانجا لا يخلومن دليل يشهد له فان الحس يسوغه » • وما اكثر الاستنتاجات العلميـــة

الخاطئة التى تعتمد على المنطق دون التجـــربة • الا ان عبد اللطيف قد أوفى على الغاية فى مقارنته الطريفة بين النباتات كثلاثة ، والذين يعملون مبـــادىء عـلم النبـــات ، يعرفون أنها جميعا تنتمى الى فصـــائل ذوات الفلـــقة الواحدة ، فالموز من الفصيلة الموزيـــة ، والقلقـــاس من القلقاسية ، والنخيل من النخلية وهذه المقارنة الطريفة بين الأوراق ، وهى حقا متشابهة ، فى الشكل العام ، كمـــا أن ورقة الموز ، وورقـــة النخـــل متقـــاربتا الشـــبه ، لولا ما لاحظه عبد اللطيف بحـــــق ، من أنه ينبغى أن نتخيل الخوص ، متصلا بعضه ببعض ، وهذه الملاحظة الطريفة ، عن حلاوة الموز من البلح ، وتفاهته من القلقاس ، وعن خلو الموز من النوى أو ما يرمى سوى القشر ، وأن الحب الذى به يشبه حب التين ، الا أنه غاية فى اللين كأنه رسم نوى الرطب ، الا أنه لان وتفرق وانساغ معه فى الأكل • انها ملاحظة جديرة بالتنويه •

وقال عن البلسان ، انه لا يوجد بمصر ، الا بعين شمس ، فى موضع محاط به ، محتفظ به ، مساحته نحـــو سبعـــة أفـــدنة ، وارتفـــاع شـــجرته نحو ذراع ، وعليـــه

قشران ، الأعلى أحمر خفيف والأسفل أخضر ثخين ، ويستخرج منه دهن ، ذو رائحة عطرة ، غـــالى الثمن ، يباع بضعف وزنه فضة · وقال ان دهـــن البلســـان ، يستخدم فى الطب ، ولا يوجد الا بمصر خاصة · وقـــال ان الدهن يؤخذ بطريقة تحتاج الى خبـــرة ومهـــارة ، فتقشر الأوراق ويشـــــدخ القشر الأعلى ، ويشق القشر الأسفل شقا ، لا ينفذ الى الخشـــب ، فيسيل منه ما يشبه الماء ، فيجمع ويوضع فى زجاجات ، تسد سدا محكما ، وتدفن فى الأرض ، الى فصل الصيف ، فتعرض للشمس ، فيطفو على سطحها دهن يجمع ، فيستعمل فى شفاء بعض الأمراض المستعصية ·

وقال عن الجميز تخرج ثمرته من الخشب ، لا تحت الورق ، ويخلف فى السنة سبعة بطـــون ، ويؤكل اربعة أشهر ، وشجرته كبيرة ، كشجرة الجوز العاتية ، ويخرج من ثمرته وغصنه ، اذا فصدت لبن أبيض ، اذا طلى به ثوب أو غيره صبغه أحمر ·وينقل عن جالينوس قوله ، ان الجميز بارد ردىء للمعدة ، ولبن شجرته يلصـــق

الجراح ، ويشفى الأورام ويلطخ على لسع الهوام ويتخذ من ثمرته خل حاذق ونبيذ حاد ٠

وكذلك وصف البغدادى الأترج ، والأترج الحلو ، قال ومن العجائب النادرة الليمون المركب ولا يوجد الا بمصر ، وهو أصناف كثيرة ، ومنه نوع فى حجم البطيخة ٠ والليمون المختم ، وهو أحمر شديد الحمرة ، أقنى حمرة من النارنج ، شديد الاستدارة مفلطح من رأسه ، وأسفله مختوم فيه بختمين ٠ قال وصنف من التفاح ، يوجد بالاسكندرية ، ورائحته تفوق الوصف ، وهو صغير جداً قانى الحمرة ، قال ومما تختص به مصر الأفيون ، وهو يجنى من الخشخاش الأسود بالصعيد ٠

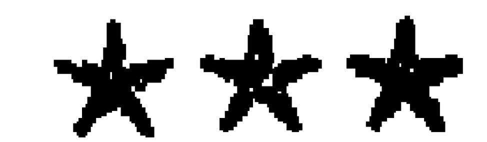
وقال عن العبدلى « العبدلاوى » ، انه نسب الى عبد الله بن طاهر والى مصر فى عهد المأمون ، قال ويسميه المزارعون البطيخ الدميرى نسبة الى دميرة ، وهى قرية مصرية ٠ وقال عن السنطة وتسمى الشوكة المصرية ٠ ورقها الكورق القرظ ، تدبغ به الجلود ، وعصارة القرظ ، تتخذ منها الأقافيا التى نستعمل فى الطب ٠ قال

ومما يكثر بمصر « خيار شنبر » وهو شجر عظيم يشبه شجر الخروب ، له زهر كبير أصفر ومنظر حسن ، واذا عقد تدلى منه ثمر يشبه الشجر الغليظة ، وهذه ملاحظة بارعة أخرى ، فخيار والخروب نباتان ينتميان الى نفس الفصيلة وقد يشتركان فى صفات كثيرة ، وأوجه الشبه بينهما متعدد ٠

وكذلك تابع البغدادى ، وصفه لكثير من النباتات التى شاهدها بمصر ، كما وصف كثيرا من حيواناتها ٠ وانه ليشفع وصفه بملاحظات شخصية دقيقة ، وقد شارك البغدادى غيره من العلماء وهم كثير زاروا مصر ووصفوا حيواناتها ونباتاتها ، شاركهم فى الاشارة الى البلسان ووجوده بعين شمس خاصة ، والى السنط أو الشوكة المصرية ، والى الأفيون الذى يتخذ من الخشخاش فى مصر خاصة ٠

الا أنى الاحظ أن عبد اللطيف يصف وصف الرحالة المشاهد بنفسه ، وهذه ميزة تميزه عن كثير غيره ممن

يروى عن غيره ، كما تميز بدقة الملاحظة احيانا ، والثابت في أغلب الأحيان انها ملاحظات شخصية ، سجلها بنفسه اثناء تجواله ، وليس بالكتاب كثير اشارة الى غيره من العلماء ، فهو في كتابه هذا رحالة ٠



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٤٩٩٤

ISBN — 977 — 01 — 9881 — 1

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى

خمسة وعشرون قرشا

بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥